الفاس في الراس

القصة المؤسفة للرأس الذي انفجر ذات يوم
ولم يكن أحد بالعالم

كلمة أولى

نحن نشاهد.. نحن لا نفعل شيئا

وها هو رأس ينفجر..

ورءوس تطل

اللوحة الأولى

(حجرة لكل شيء تعمها الفوضى، ذات فتحات متعددة من جميع الجهات، باب للخروج والدخول في المنتصف تماما، هذه الحجرة هي مكان أساسي ودائم لجميع اللوحات التالية، لا تختلف إلا من حيث الأثاث الموضوع فيها).

(توجد أرفف عديدة للكتب في أماكن عدة)

(المكان مظلم تماما، صوت انفجار مروع يتزامن مع ارتماء جسد مهشم الرأس وبعض أشلاء الرأس تتناثر بعيدا.. يتزامن هذا مع ظهور حشد د الرءوس البشرية التي ترتسم على وجوهها بلاهة وجمود خلال الفتحات في حوائط الحجرة، تسقط على المسرح وعلى الوجوه إضاءة حمراء قانية، برهة من الصمت، الأم تخترق هذا الحشد المتراكم أيضا عند الباب من الرءوس، متشحة بالسواد ووجهها مكسو بالشحوب الشديد. تحتضن الأم جسد الفتى وهي تبكي، تتمرغ في أشلاء الرأس حينا وحينا تحتضن الجسد وتبدأ العديد).

الأم: ما دام نويت خد الخلق في إيدك

أمك حزينة ومين يغذ . ي لك

ما دام نويت خد الخلق مصرور

خد لك عروسة من بنات الحور

ما دام نويت خد الخلق وياك

خد لك عروسة من بنات هناك

(الرءوس المحتشدة عند الباب في الفتحات ترتسـ م على وجوههم ثمة تعبيرات ساخرة شامتة بعد برهة تمتلئ الحجرة بالمحققين، يلتفون حول الأم وهـ ي تحتضن جسد الفتى بينما تبدأ الرءوس في التلاشي الواحد تلو الآخر. وتسطع الإضاءة)

المحقق: كنت فين وقت وقوع الحادث؟

الأم: الموت؟ في السوق يا بيه.. باشتري أكل النهارده وبكرة وبقية الشهر.

المحقق: المجني عليه.. كان مريض؟

الأم: يعني إيه يا بيه؟

المحقق: يعني كان عيان؟

الأم: لأ.. بس كان تعبان **(تعدد)**

ما تشد حيلك يتعدل وحدك

دي الملفحة وقعت أهي جنبك.

المحقق: كان بيشتكي من إيه؟

الأم: من كل حاجة.

المحقق: كل حاجة يعني إيه؟

الأم: ما كانش عارف يعيش.. قال لي يا مه.. أنا مش عارف أعيش خلاص.. ما عدتش قادر.. وسحت الدموع من عينيه.. حمرا دم... ما كنتش عارفة أعمل إيه قلت ربنا يفرجها.. يعدلها لا فرجها ولا حاجة اتعدلت **(تعدد)**

ما تشد حيلك يتعدل وحديك

دي الملفحة أهي وقعت جنبيك.

المحقق: بس ده كفر.

الأم: صح يا بيه.. العيشة كفر.

المحقق: اللي أنت بتقوليه هو اللي كفر.

الأم: ربنا ها يسامحني عارف ضمير عباده وعالم باللي فيه.

المحقق: حد كان بيجيله باستمرار؟

الأم: آه.

المحقق: مين؟

الأم: أبوه.

المحقق: أبوه؟

الأم: كان بيجيله في الكوابيس يوماتي.

المحقق: إحنا ما لناش دعوة بالكوابيس.

الأم: الحياة كلها بقت كوابيس.. بس ساعات كانت بيصحى مخضوض... غرقان عرق يصرخ من الخوف والضيقة وكتمة النفس.

المحقق: كان بيشرب؟

الأم: كان دايما عطشان.

المحقق: خمرة؟

الأم: **(تخبط على صدرها)** حد الله.

المحقق: كان بيدخن حشيش؟

الأم: سجاير بس.. ما تظلموش.

المحقق: كتير؟

الأم: قوي.

المحقق: نوعها إيه؟

الأم: فرط يا بيه.. نوعها فرط.

المحقق: ابنك كان بيشتغل؟

الأم: في الحكومة... الماهية ما كانتش بتكفي شربة المية ولا رغيف العيش.

المحقق: وأنت كان رأيك إيه؟

الأم: أنا ما دخلتش مدارس.. ما بقراش ولا أعرفش.

المحقق: كنت بتحبيه؟

الأم: الضنا غالي يا بيه.

المحقق: كان عنده كام سنة؟

الأم: ولدته يوم جمعة.. الساعة تمانية.

المحقق: كان متجوز؟

(يعلو صوت الأم بالعديد بينما الكورس يط ـل م ـن خ ـلال الفتحات)

الأم: ما دام نويت خد الخلق وياك

خدلك عروسة من بنات هناك

ما دام نويت خد الخلق مصرور

خدلك عروسة من بنات الحور

المحقق: كان بيحب الحياة؟

الأم: (صمت)

المحقق: كان بيكرهها؟

الأم: (صمت)

المحقق: عندك أقوال تانية؟

الأم: (تعدد) اعملوا قبر المليح مليح

شباك من غربه يجيب له ريح

اعملوا قبر المليح زيه

شباك من غربه لملقى أمه

الكورس: (يردد العديد بطريقة الريستاتيف وعلى وجـ وههم ثمة ابتسامة ساخرة)

(تخفت الأصوات مع خفوت الإضاءة ثم يحدث)

(إظلام)

اللوحة الثانية

(كافيتيريا في ساحة المط ار.. الفت ى والفتاة في أحد الأركان)

الفتى: تجربة مفيدة.. سافري.

الفتاة: استناني.. هاتستناني؟

الفتى: الفلوس هاتغيرك.

الفتاة: بلاش كلام الأفلام العربي الخايبة دي.

الفتى: هانشوف.

الفتاة: هانشوف إيه؟ أنت مجنون.

الفتى: **(يمد كفه)** عاهديني.

الفتاة: **(ترمقه بنظرة ساخرة)**

الفتى: عاهديني.

الفتاة: **(لا تمد يدها ونظرتها أكثر سخرية)**

الفتى: إيه؟

الفتاة: مش واثق في؟

الفتى: العهود بتطمني.

الفتاة: لازم تطمن من غير عهود.

الفتى: تفتكري؟

الفتاة: الفلوس ما تقدرش تنسينا أحلام فضلنا العمر نحلمها.. وأماني حاربنا حتى أهالينا علشان نحققها.

(يخلع سلسلة من عنقه ويهديها لها وعلى وجهه ابتسامة)

الفتاة: ادتني حاجات كتير قوي.

الفتى: لو أقدر.. أديلك عمري.

(صوت مذيعة المطار تعلن قيام الطائرة. يودعان بعضهما في عناق بينما الفتى تحت بقعة ضوء)

الفتى: خذي جميع أشيائي.

خذي جميع جميع أشيائي.

خذي دمي

وهذا الشهيق الداخل رئتي

خذي أحلامي كلها لك

وامتزجي بي.

فما دمت يا حبيبتي في..

فلم يضع أي شيء ولا أي شيء.

(الطائرة تبتعد والضوء يخفت حتى)

(إظلام)

اللوحة الثالثة

(نفس الحجرة في اللوحة الأولى لكنها منظمة نوعا ما)

الفتى: (صوته الداخلي وهو في حالة من الانكسار) ما فيش حاجة نافعة.. ما فيش حاجة بتحصل.. ما فيش غير الانكسار.. ركود عنيييف.. (يقذف كتابا كان يقرؤه) لا كتاب الإنسان بين الجوهر والمظهر ولا دواوين الشعر ولا كتب التاريخ.. تقدر تشبع الإنسان ولا تنور الطريق نحو الحقيقة الخالصة.

(يقذف الكتب جميعها من فوق الرفوف في ثورة عارمة) قبل انفجار الرأس يجب على الإنسان أن..

(يعلو صوت الغسالة بالخارج)

أمي.. وقفي الغسالة.

الأم: (تدخل مسرعة) مالك يا ضنايا؟

الفتى: (ينظر لها في صمت)

الأم: صوت الغسالة؟.. حاضر.. بس الأكـ ـل هـ ـا يشـ ـيط ع
الوابور.

الفتى: دماغي بركان نار.

(ينكمش فوق السرير ممسكا برأسه)

شباك الأودة مكسور.. أنا متلج وتعبان.

الأم: حاضر.. قلت لك كتير صلحه.. أنت ما بتردش علي.. بتسبني أهاتي.. أنا بابقى باموت وانا باستحمى فـ ـي التشت في الأودة.. قلت لك صلحه.

(تغلق النافذة المكسورة في الحجرة)

الأم: حط حتة كرتونة ولا مسمر خشبة.

الفتى: مش عارف أقدر.

الفتى: **(يمسك رواية ويقرأ منها هذه الفقرة)**

لولا السجائر.. لاشتعل العالم بالحريق..
يجب على الإنسان أن يشعل شيئا ما.. أن
يحرق شيئا ما.

(يغلق الرواية ويشعل سيجارة، تمـ ر لحظ ات مـ ن الصمت) فكرك اللي بيموت بيقدر يعذب اللي عذبوه قبل ما يموت.. يقدر يعملهم حاجة؟

الأم: (تدخل مرة أخرى) نعم؟

الفتى: المسألة دي متروكة لإرادتنا فعلا؟

الأم: مين؟

الفتى: أنا عايز أستفسر عن الموضوع ده بالذات.

الأم: بتكلمني يا ضنايا؟

الفتى: (بحدة) ما بكلمش حد.. باصـ رخ فـ ي البريـ ة ولا مجيب.

الأم: ما لك يا ضنايا؟ أنا ما دخلـ تش مـ دارس.. **(صـ مت)** امبارح ما لاقيتش خضار في السوق.. كله زبالـ ة.. النهاردة لقيت خضار والفلوس ما كفيـ تش.. جبـ ت نص كيلو.

الفتى: سمعت أن ممكن روحي تحوم فوق البيـ وت ووسـ ط الشوارع.. أقدر أطير وأنا عفريت أو شبح.. ابقـ ى زي توب القماش أو لفة السلب واخد بتاري.

الأم: **(وهي ترفع الكتب فوق الرفوف)** من مين؟

الفتى: من الخوف والفقر ومرض الروح.

الأم: أبوك من يوم ما مات وما حدش شـ افه ولا سـ مع لـ ه حس. **(تقترب منه)** ما لك يا ابني؟ إيه اللي صابك؟

الفتى: لازم آخد بتاري.. ولا فاكرة مش ها أقـ در زي كـ ل مرة؟

الأم: طول عمرك طيب وعمرك ما بتأذي حد.

الفتى: أنا مش المسيح.

الأم: سلامتك.

الفتى: ومش معقول ابقى منهك وأنا فـ ي القبـ ر جيفـ ة ولا الخنازير.. ابقى مخنوق من العفونة فوق وتحت.

الأم: استهدى بالله واستغفر ربنا.

الفتى: أنا مش باكفر.. أنا بابوح.

(يطفئ السيجارة بعنف وينكفئ على المنضدة)

الأم: **(تذهب إليه تربت على ظهره ثم تستكمل رفع الكتـ ب على الرفوف)** كتب.. كتب.. خدنا منها إيه غير وجع القلب ووجع العين؟.. وياما قلت لك لا احنا أد بتوع

الكتب ولا هما أدنا.. دكهم معاهم فلـ وس علاجهـ م. اسكت، مش الجيران رموا على الغسيل ميه وسـ خة والعيال ولعوا نار في زبالة الشارع.. أذ ا غلبـ ت.. الغسيل اتوسخ تاني.. من فوق ومن تحت.

الفتى: ولاد الكلب.

الأم: الله يسامحهم بقى.

الفتى: ربنا مش لازم يسامح دول.

الأم: دي عيال صغيرة.

الفتى: اللي عذبوني.

(صمت)

الأم: استهدى بالله.. أختك ماتت دك النهار.. مـ ا قلـ تلكش؟ عرفت بالصدفة وأنا في البلد، قالوا لي بنت جـ وزك ماتت واندفنت نواحينا.. جنب عمتك.. أختك الكبيرة بقى لما زرتها قلت لها البقية في حياتك وعاتبتهـ ا.. قلت لها أنا زعلانـ ة، كـ ان لازم نحضـ ر الغسـ ل والجنازة هي ما سابتش حاجة.. وقبل ما تموت كتبت البيت باسم جوزها.. ما أنت عارف.. قلت لك ماتت وهي بتخلف العيل.. العيل؟ برضـ ه مـ ات.. إيـ ه؟

مالك؟ أبوك كان قلبه حاسس. ما كانش عايزها تسافر وتتغرب.. قالت له: ما تخافش علي يابا.. هنا غربة وهناك برضه غربة.

الفتى: كفاية.

الأم: نام يا حبيبي.. أنت بتروح الشغل وتيجي مهدود.. ربنا يعينك.. والعيشة.. الرايح مش أد اللي جاي. كل شهر سلف سلف.. زي التاني. والديون ما بتخلصش.. اشتغل أي حاجة تانية يا ضنايا وشيلك قرشين في البوستة.. ما بقاش فيه لحمة في الجمعيات.. بطلت يا ابني.

الفتى: **(يمسك رأسه)** كفاية.. كفاية بقى.. أنا تعبان.

الأم: **(بنفاد صبر)** هو أنا كل ما أقولك حاجة تسكتني؟.. ما أنا لازم اتكلم مع حد.. الجيران ما عادتش فاضية تسمع بعضها.. ما ليش حد غيرك أكلمه.

الفتى: أنا عايز أنام.

الأم: إذا كنت تعبان قيراط.. أنا تعبانة أربعة وعشرين.. ولازم تسمعني.

الفتى: مش عايز أسمع حد.

الأم: طب سيبني أكلم نفسي.

الفتى: اتكلمي هناك.

الأم: هناك فين؟ كنا قاعدين في شقة تلات مطـ ـارح بصـ ـالة وعفشة ميه.. سبت المدرسة بعد أبـ ـوك مـ ـا مـ ـات وصعت في الشوارع.. لو ما كانوش لقوا لنا الأوضه الشرك دي كان زمانك ما دخلت مدارس ولا اتعلمت أحسن علام.. وبقيت صايع في الشوارع ولا حرامي زي ولاد الكلاب.. آه أوضة.. كان لازم أجيبك وسط أهلي علشان يعرفوا يربوك ويصرفوا عليك لحد مـ ـا تخلص.. وبنطلونات ولاد أختي وقمصـ ـانهم كانـ ـت بتسترك في البرد. أنت بس اللي ما عدتش تود حد..

الفتى: أنا قرفت من العيشة دي يا امه.

الأم: (تحتضنه دامعة العينين) وأنا في دك الساعة لما تتجوز في شقة تلات مطارح بصالة وعفشة ميه.. على الله قلبك ما يقساش علي وتاخدني أعيش معاك.

الفتى: كل حاجة مش نافعة.

الأم: **(في ابتسامة مريرة)** ها أشيلك العيال.. ويقولوا لي يـ ـا ستي.. ها أمسح لهم وسـ ـاختهم واشـ طفهم بإيـ دي

واغسل لهم هدومهم كل شوية وأنت ومراتك تيجـ وا من الشغل تلاقوا الأكل نازل من على النار وسـ خن والبيت نضيف والعيال نايمين نضاف.. ها أخـ دمك بعيني دول.. نمت يا حبيبي **(تهنئة كالطفل)** نام نـ ـام وأدبح لك جوزين حمام.. نام ننه هووو **(تتركه فـ ـي حنو وتضع الوسادة تحت رأسه)** دايما لما باكلمك.. يا تشتمني يا تنام.. نام يا حبة عيني.. ها أطفي لـ ـك النور.. أنت تعبان وأنا ما بيديش حاجة.

(تطفئ النور من زر الحائط وتخرج)

(إظلام)

اللوحة الرابعة

(على محطة الأتوبيس، الفتى يضع يديه فـ ـي جيبه من البرد، ينظر لأحد الأصدقاء على البعـ ـد.. لحظة صمت طويلة.. الفتـ ـى والصـ ـديق ينظـ ـران لبعضهما)

الفتى: (صوته الداخلي) ما حدش عارف التاني.. ما حـ ـدش عايز يسلم على حد علشان إيديه ما تبردش.. علشان ما يخرجش إيده..

(يحدجه بدقة، يلمحه الصديق فيقتربان)

الصديق: إزيك؟

الفتى: (صمت)

الصديق: إيه؟ ما لك؟

الفتى: كويس **(صمت)** ما ليش.

(صمت)

الفتى: وأنت؟

الصديق: برضه.

الفتى: كويس؟

الصديق: الحمد لله على أي حال.

(صمت)

الفتى: أخبارك إيه؟

الصديق: مش **(صمت)** تمام

الفتى: مش ولا تمام؟

الصديق: **(يبتسم بمرارة)** مش تمام؟

(صمت)

الفتى: ما حدش بقى يشوفك.

الصديق: عايش.

(صمت)

الفتى: احنا بنتكلم مع بعض كده ليه؟

الصديق: مش عارف.

(صمت)

الفتى: يمكن علشان ما عندناش كلام نقوله.

الصديق: ويمكن علشان عندنا اكتئاب عام.

الفتى: ليه؟

الصديق: أنت ما عندكش؟

الفتى: **(بحدة)** ليه عندنا اكتئاب عام؟

الصديق: عايزهم يخصخصوه راخر؟ لازم يبقى فيه حاجة عام.

الفتى: مدير عام عندنا في المصلحة مات.

الصديق: بجد؟

الفتى: أنت مش مصدقني؟

الصديق: أبويا أنا كمان مات.

(صمت)

الفتى: البقية في حياتك.

الصديق: مات من زمان.. أنت ما عرفتش؟

الفتى: ما حدش قالي.

(صمت)

الصديق: الانتخابات قربت.. معاك بطاقة انتخابية؟

الفتى: أنا مش مؤمن.

الصديق: بربنا؟

الفتى: بالانتخابات.

الصديق: إزاي؟ بيقولوا إن ده حق من حقوقنا وما ش لازم نفرط فيه.

الفتى: اشمعنى ده اللي مش ها نفرط فيه.

(صمت)

الصديق: الأتوبيس اللي بتركبه نمرة كام.

الفتى: أتوبيس زحمة.

الصديق: نمرة كام؟

الفتى: أنا ما باركبش أتوبيس. باركب مترو الأنفاق.

(صمت)

الصديق: المحطة بتعاة المترو هناك مش هنا.

الفتى: كان لازم أكلم حد.. كان لازم أخرج إيدي من جيبي في عز البرد.. وأكلم حد **(صمت)** على فكرة.. كنت عايز أسألك على حاجة.

الصديق: (ينظر في ساعته) ياه أنا اتأخرت جدا.. الأتوبيس جه.. سلام.

(يعدو خلف الأتوبيس المتخيل)

(يظل الفتى وحيدا لحظة ويحدث).

(إظلام)

اللوحة الخامسة

(في المكتب الحكومي، الحجرة فسيحة ورتيبة، الموظفون والموظفات على المكاتب، الفتحات في الخلفية تطل منها الرءوس وتصدر ردود فعل ساخرة بملامح الوجه فقط)

الفتى: **(يدخل بملابسه غير المنتظمة وغارقا في العرق)** صباح الخير.

عيشة: **(في اعتيادية)** صباح النور.

نبيلة: صباح الفل.

صبحي: صباح اللبن.

طوسون: صباح العسل.. اتأخرت ليه يا أفندي؟. تلاقيك ما لحقتش دفتر الحضور. ما مضتش طبعا.

فكرية: **(وهي تأكل بطريقة مقززة)** صباح الخير.. اتفضل **(صمت)** وبعدين أنت مالك بيه يا طوسون.. أنا الريسة هنا وانا اللي أسال **(صمت)** اتأخرت ليه؟

الفتى: **(يجلس على مكتبه وينظر للدوسيهات المتراكمة على مكتبه)**

(صمت)

مين اللي جاب الملفات دي هنا؟ **(صد مت)** الشد غل بتاعي أنا خالصته كله امبارح وقبل ما امشي.

فكرية: عيشة تعبانة يا ابني.. حبلة وتعبانة.

الفتى: عيشة قاعدة تعمل تريكو.

عيشة: ده حتة شرز للعيل **(صمت)** بكرة ربنا يديك واعمد ل لك حتة شرز للعيل.

الفتى: بقالك سنتين على الوضع ده.

صبحي: **(يقرأ الجريدة برهة ثم يصرخ)** القهوة يا عبده.

نبيلة: يوه.. ما أنت لسة مخلص قهوتك.

صبحي: أنا حر.

طوسون: **(وهو يقلب الجريدة)** الجريدة بقت تغ م الد نفس.. وتجيب المرض **(للفتى)**.

طوسون: قريت المقال اللي في آخر صد فحة؟.. اسد مع ي ا سيدي.

فكرية: أنت ها تقرأ الجرنال وإلا هاتشتغل يا طوسون؟

طوسون: مقال يجنن.. يفقع المرارة والـ . ... اسـ معوا يـ ا سيادنا.

(يقرأ المقال بصوت عال وبعد كل فقرة يمكنـ ـه أن يومئ إماءة ساخرة)

على كل مصري أن يقف أمام مرآته كل يوم لـ يعلن صوته كإنسان متخلف، متعصب، غير نظيف، وغير متحضر، وغير قادر علـ ى التواصـ لـ مـ ـع جـ ـاره الإسرائيلي الواعي، المتدين، الرقيق، المحب، الودود، الشجاع، المقاتل، المنتصر، بدليل أنه يعاكسـ ـه وهـ ـو داخل من الحدود، فيلطعه طويلا قبل أن يعطيه تأشيرة الدخول متمسكا بـ دعوى مهترئـ ـة، سـ ـاذجة، هـ ـي احتياطات الأمن، احتياطات أمن ضد من.

صبحي: قلت مين اللي كاتب الكلام ده؟

عيشة: تلاقيه موشى ديان.

طوسون: (مستمرا في القراءة) أما آن لكـ ـم أن تتحضـ ـروا وتتمدينوا وتقلدوا على الأقل جيرانكم من أبناء شعب الله المختار ولكن ما فائدة الكلام معكم وأنـ ـت فـ ـي غياهب تخلفكم؟ ابقوا كما أنتم.

فكرية: سيبك من القرف ده وتعالى خدلك بتنجاذ ـة تـ ـروق دمك.

طوسون: (مستمرا) وكفاكم أن تتمسحوا بأجدادكم وأساطيركم وعنترياتكم. وكفى ما أصابني منكم فـ ـي القولـ ـون وحساسية الأنف والرشح.

عيشة: يا أخي جته فضيحة تفضحه، قلت لي اسـ ـمه إيـ ـه الصحفي العرة ده.

فكرية: خلينا ناكل اللقمة بقى وبلاش قرف.

طوسون: (مستمرا) وكفى ما قاله لي الدلاي لاما في التبت، عن الرؤيا التي تثبت أن ميتوشالح بن نوح هو باني الهرم الأكبر وليس خوفو [١].

الفتى: وطن غريب.

صبحي: اشتغل بقى وبلاش عكننة.

طوسون: هو أنا اللي كاتب المقال يا سي صـ ـبحي، ده فـ ـي الجرنال أهو، نعالى بص.

---

[١] من مقالة لأنيس منصور في الأهرام، نقلها وعلق عليها أسامة أنور عكاشة في جريدة الأهالي.

(يمزق الجريدة ويلقيها في سلة المهملات)

صبحي: ده مثواه الأخير فعلا يا طوسون، الله ينور عليك.

فكرية: مش فالحين غير في الكلام الفارغ والمسخرة.. إنما شغل لأ.

طوسون: كلي أنت بس وما تزروطيش هدمتك.

فكرية: هو أنا بأقول عليك أنت يا بني آدم.

طوسون: بتشتميني يا فكرية؟ أنا أرفع مذكرة للسيد المدير يشوف له صرفة معاكي.. أنا اتهزأت.

(صمت ووجوم)

عيشة: (بتوجع) آه.

صبحي: إيه؟ مالك يا عيوشة؟

عيشة: الطلق حمي.. أنا بايني حبلة يا وله.

نبيلة: بنت إن شاء الله.

عيشة: بنت في عينك.

طوسون: دي البنات رزق.

عيشة: دي البنات غلب.. البنات حرام.

صبحي: (ينظر لنبيلة) مكروهة بس.

نبيلة: ما تتدخلش في اللي ما يخصكش.

فكرية: علشان ما تسمعش اللي ما يسركش.

(صمت)

صبحي: قهوتي يا زفت.

طوسون: الراجل سمع.. سمع.. بلاش دوشة بقى ووجع راس.

الفتى: دماغي ها تتفرتك.

فكرية: هو انتو فالحين غير في كده؟.. القهوة والجرانين ودماغي ها تتفرتك.

عيشة: دول رجاله دول؟

طوسون: اصطبحي وقولي يا صبح.

عيشة: **(بشراسة)** ما نيش قايلة يا طوسون.

طوسون: أقول أنا يا عيوشة.. يا صبح.

صبحي: نعم يا اخويا؟

طوسون: يا صبح مش يا صبحي يا أطرش.

صبحي: سامعة يا ريسة؟.. أنا باتهزأ وأنا باشتغل أهو.

فكرية: وحياة امك؟

صبحي: وحياة أبوكي يا اختي.

فكرية: أنت قليل الأدب.

صبحي: وأنت أهلك ما ربوكيش يا ريسة.. هه.

(صمت ووجوم)

نبيلة: بقى ده كلام؟ الريسة بتتهان وسط المصلحة كده.

طوسون: ولعيها نار يا عانس.

نبيلة: عانس في عينك.. أنا اللي ما فيش راجل ملا عيني لغاية دلوقت.. وبعدين أنت مالك أنت؟

طوسون: الله.. مش صاحبي في المصلحة؟

صبحي: ما أنتو سامعينها بتشتمني.

عيشة: ما تقصدوش يا جدع أنت.

طوسون: ما تقصدوش ازاي؟ أنا شاهد معاه.. تقصده ومستقصداه كمان.

(صمت)

صبحي: (ينظر في ساعته) ياه.. الساعة اعتنين.

عيشة: اتنين إلا خمسة.. ولسه ما كملتش الشرز..

طوسون: ما هو دفتر الانصراف بيجي السـاعة اتنـين إلا خمسة.

فكرية: إيه رأيكم؟.. إن ما حدش ها يخرج غير لما يخلـص شغله.

صبحي: بتقولي إيه؟.. احنا بنشتغل في الحكومـة علـى أد فلوسهم.. ده احنا حتى ما لحقناش نخلص الجرايـد ولا شربنا القهوة.

(يقذف المقعد ويخرج)

طوسون: على رأيك والله.. الوقت بيجري.. الوقت زفت.

(يقذف المقعد ويخرج)

عيشة: ناقص كم شرز.. لو كان علي.. كنت خدت سـاعة إضافي أكمله في الهداوة بس جوزي ما بيـرحمنيش لما أتأخر.. جاتهم نيلة.

(تقذف المقعد وتخرج)

نبيلة: دي ما بقيتش مصلحة.. دي بقت زريبة.

(تقذف المقعد وتخرج)

فكرية: (تذهب للفتى على مكتبه) انت مش ها تروح؟

الفتى: أروح؟

فكرية: أصل دول ناس ما عندهاش ضمير.. ابقى اقفل باب المكتب جامد.. وجعوا راسي بكلام فـ ـارغ.. وقلـ ـة حيا.

(تخرج.. بينما الفتى يظل وحيدا على مقعده منهمكا في العمل، تخفت الإضاءة)

(إظلام)

اللوحة السادسة

(الفتى في حجرته، يقرأ الخطاب، الفتـ ـاة على البعد تحت بقعة ضوء تكتب الخطاب تحدث حركة تبادلية بين القراءة والكتابة)

الفتاة: عزيزي، معلهش هي مش حلوة بس علشان هي أول مرة، أبعث إليك بأرق تحية وأطيب سلام أهديه لـ ـك من كل قلبي متمنية من الله أن يعبر قلمي عن مـ ـدى شوقي وافتقادي لشخصك العزيز.

الفتى: حقيقي وحشني النكد اللذيذ. طبعا ده يختلف عن النكد اللي على أصوله هنا واللي ما فكرتش ولو لثانية أني ممكن أشوفه.. أنا حسيت أني بقالي سنين بعيدة.

الفتاة: اليوم هنا بسنة كاملة وده اللي أنا حساه فعلا هنا فـ ـي الغربة، وعلى فكرة أنا مش ها اعتذر عن التـ ـأخير لأني فعلا لغاية دلوقتي ما استقريتش في مكـ ـان إلا يمكن بس النهاردة ٢٦/ ٩، السكن مش مريح الجـ ـو هنا فظيع.. النهار صيف حار جدا وأنا ما باستحملش وأنت عارف.

الفتى: الليل برد جدا والجو متقلب، أما عن البلد نفسها فرغم الرخاء والرفاهية إلا أني حاسـة بـ نفس الـ روتين والملل.

الفتاة: وطبعا الرفاهية دي لا تعني شيء بالنسبة لي.. مقابل أني أكون بين أهلي وناسي وكفاية مش ها أقول اللي أنت نفسك تسمعه.. وطبعا أنت عارفه كـ ويس.. ولا إيه؟

الفتاة: إيش لونك؟ كيف أحوالك؟ زينـ ـة؟ وحـ ـال صـ حتك الغالية؟.. أنا عايزة أطمن عليك وعايزاك دايما بخير وصحتك كويسة ومش مدوخ نفسك.. ويا ريت تكتب لي.. عايزاك تبعت لي كتير.. عايزة أحس أني لسه في مصر أو أنك أنت اللي معايا.. وأنا على فكرة.. معلهش مش ها أقدر أكتب أكتر من كـ ده علشـ ـان الساعة دلوقت واحدة ونص صباح الأحد والمفروض ها أنام.. بس مش عارفة ها أقـ ـدر ولا لأ.. تصـ ـبح على خير.. وأكتب لي الرد على طول.. يا ريـ ـت.. امضي بقى ولا إيه؟.. مضيت أهه..

الفتى: **(يترك الخطاب يسقط من يده)** بعد أكتر من سـ نة.. والسنة أطول من دهر.. مافيش حاجة بتحصـ ل ولا جوابات بتيجي.. واللغز ها يموتني. إيه اللي حصل؟ كتبت أنا كتير ومن آخر نقطة دم في قلبـ ي نزفـ ت فوق الورقة كتبت قلت لها.. كل اللي ها أقدر استناه بعد كده شهر مش أكتر.. ولو ما فـ يش ذرة حـ ب بينا.. يبقى على الأقل فيـ ه ذرة إنسـ انية. ترفعـ ي التليفون وتقولي خلاص.. لقيت هنـ اك حلمـ ي، أو حلمي مش أنت، أو أنت مجرد وهم كبير أو اسم في أندكس التليفون والذاكرة.. أو أنت حمـ ار كبيـ ر أو أنت.. قولي خلاص افترقنا ما تتعبش نفسك والحقها من الساقية والدوامة.. لا تروح ولا تيجي فوق مـ ن الوهم وعيش علـ ى الـ ذكرى.. مـ ا فـ يش حاجـ ة بتحصل.. فيه مشاعر بتتبدد وبدون إبداء أسباب.

(بعد لحظات تدخل هدى جارته، متفجـ رة الأنوثـ ة، تقف قرب الباب تغمز بعينها في إثارة)

هدى: إزيك يا أستاذ؟ بتعمل إيه؟ بتكتب؟ بتكتب إيه شعر.

الفتى: **(ينظر لها ولا يرد)**

هدى: (تقترب منه) إيه؟ لسة زعلان مني؟ أنا ما كانش قصدي أزعلك.. بس أنا ما أحبش حد يمد إيده علي.

الفتى: عايزة إيه؟

هدى: يوه.. ولا حاجة.. أنا بأمسي.

الفتى: أنا قاعد لوحدي هنا.

هدى: خوفتني.. حوش حوش.. يعني أنت ها تاكلني؟

الفتى: مش يمكن.

هدى: (تضحك بخلاعة) يمكن إيه؟

الفتى: أكلك.

هدى: أنت غلبان.. غلباوي بس.. ما فيكش غير لسان.. بس بيني وبينك.. يا ريت.

الفتى: يا ريت إيه؟

هدى تحس بي ولا احنا مش أد المقام؟

الفتى: أنهو مقام؟

هدى: مقامك يا أستاذ.. أنت متعلم ومتنور... بتاع ورقة وقلم.. إنما أنا..

الفتى: (ســاخرا) مقام؟.. يعني إيه مقام؟ يعني إيه ورقة وقلم ووظيفة في الحكومة حتى؟

هدى: يعني كل حاجة.

الفتى: (يقترب منها) أنا عايز أفهمك حاجة مهمة.

هدى: وأنا نفسي أفهم والنبي.

الفتى: أنا تعبان..

(يهجم عليها بينما هي تعدو نحو الخارج ضـاحكة في ميوعة.. المسرح خال منهما.. الرءوس تطـل من فتحات الخلفية.. وعلى وجوههم ابتسامة تطلع نحو الكواليس التي خرجا منها.. كل صوت يعكـس دهشة ما على الوجوه.. تسـمع صـوت تأوهـات صادرة منها ثم صفعة على الوجه)

الفتى: (يدخل منكسرا)

هدى: (تقف عند الباب باكية)

الفتى: قلت لك أنا لوحدي وتعبان.

هدى: أنت مش بني آدم.

الفتى: أنا مش عارف عملت كـ ده إزاي؟ أنـ ـا فعـ ـلا مـ ش قصدي.

هدى: مش قصدك تبوسني وتقطع البلوزة؟

الفتى: مش قصدي ابقى حيوان بالشكل ده.. واعتدي علـ ـى إنسانية أي حد في الكون. فعلا مش قصدي.

هدى: أنت راجل زي بقية الرجالة.. مش همك غير جسـ ـمي وبس.. ما حدش بيسمع حد.. كـ ـان نفسـ ـي أكلمـ ـك وتكلمني.. أفضفض معاك.. أحس أني بافضفض مع حد وأقوله كل حاجة من غير ما يفتكر فـ ـي حاجـ ـة وحشة.. من غير ما يمد إيده علي ولا يقطع البلوزة **(تبكي)**

الفتى: أنا آسف.. آسف جدًا.

هدى: (تنفجر باكية وتضربه على صدره ضربات متتاليـ ـة) إوعى جتك القرف أنت حيوان.

الفتى: (يبتعد عنها)

هدى: كنت فاكراك بني آدم.

الفتى: قلت لك امشي.. امشي أنا تعبان.. أنا لوحـ دي.. مـ ـا رضتيش.. أنا لما باكون لوحدي بابقى تعبان وبافكر في الجنس.

هـ دى: أنا كمان تعبانة.. عندي أكتر من تلاتين سنة دلوقتي. بنات غيري وأصغر مني اتجوزوا وعاشوا واتهد وا وخلفوا.. بس أنا مين ها يبص لـ ـي؟ لا ورايـ ـا ولا قدامي.. لا شهادة ولا شغلانة ولا حاجة.. ومش من حقي أعيش.. عارف ليه؟ علشان ما يـ نفعش.. لازم أبيع.. ولا أخليهم يبيعوني لواحد أد جدي.. لكن اللي زينا ما يعرفش يبيع.. كنت شايفاك أنت الوحيد اللي قدام عيني تحس بي. تفضفض معايا وأفضفض معاك **(بحدة)** طلعت ابن كلب سِمّاوي.

الفتى: اخرجي بره.

هدى: (تبصق على الأرض وتصفق الباب بعنف وتمضي)

(نسمع صوت ضحكات الرءوس المطلة من الخلفية)

الفتى: (يعود منكمشا إلى السرير.. حيث يمكننا أن نسـ مع صوته الداخلي)

يا سيدي أنا زنيم

يا سيدي أنا واهن القوى متخاذل مؤنب..

يا سيدي ماذا ستفعل بي؟

أنا عبدك المستند إلى سور الهاوية.

يا سيدي أنا مفتت.

مضطر على الانسحاق بين شقي الرحى.

فأقمني من عثرتي وضمدني وشد من أزري.

لكي أخرج من ذنوب الجسد.

يا سيدي أنا أواصل الفجور.. أواصل التفتت.

أواصل يا سيدي الموت.

تلك نبذة عن فسقي.

(تطل الرءوس مرة أخرى وتعلو ضحكاتهم وتمتد أياديهم عبر الفتحات بالسياط التي تلهبه على ظهره وهو ملقى على الأرضية وسط الضحكات والعيون والسياط، لحظات ثم تخفت الأصوات مع خفوت الإضاءة حتى الإظلام)

(إظلام)

اللوحة السابعة

(المكان عبارة عن حجرة النوم، ومكتب المصلحة، ومحطة الأتوبيس، كل هذا متداخل ومزدحم بشكل باعث على الضيق والاختناق.

كل شخص من الشخوص في مكانه، الموظفون على مكاتبهم، والصديق على محطة الأتوبيس وهدى قرب الباب، والأم جالسة على السرير منكمشة ومعصوبة الرأس.

الفتى وسط كل هذا الزحام.

والجميع في هذه اللوحة خارج من رأس الفتى).

الأم: (تعدد) واللي الوجع دخل جواه

لا ينفعه ماله ولا اللي معاه

واللي الوجع دخل جلده

لا ينفعه ماله ولا ولده

الفتى: حتى اللي أنت تحبه يموت.. وإذا ما ماتش. يسيبك ويسافر.. تبقى من غير غطا وعريان.. حتى اللي

أنت تحس معاه بالدفء.. يفوتك، ذهب الذين أحبهم.. وبقيت مثل السيف فردا.

الصديق: مالك ما حدش بقى يشوفك. شكلك حزين وتعبان.. إحنا بنتكلم مع بعض كده ليه؟ يمكن علشان ما عندناش كلام نقوله؟.. ويمكن علشان عندنا اكتئاب عام.

هدى: قال لي يا هدى.. أنا بحبك يا هدى.. أنا فرحت مش علشان ده هو الراجل اللي الواحدة تتمناه وتحلم بيه.. لأ.. علشان أول مرة واحد يقول لي بحبك يا هدى.. بعدها بيومين مسك إيدي سيبته.. بعدها بتلات أيام قالي أنا عايز أنام معاكي يا هدى.. صرخت وجريت على بيتنا طوالي.. كنت عايزة أحكي لحد وأفضفض معاه.. حكيت لأمي، أبويا جري ورايا بالسكينة لغية آخر الشارع.

طوسون: وقد فضح بالأرقام زيف دعاوى الإصلاح الاقتصادي وما يقال حكوميا من مراعاة البعد الاجتماعي، فمشكلة الفقر تتزايد، ٨٦ % من جملة سكان مصر يحصلون على ٢٥ % من مجموع

الدخل، في حـ ين أن مليـ ون فـ رد أي ٢ % فقـ ط يحصلون على ٤٠ % من مجموع الدخل القـ ومي و ٥٠ فردا يملك كل منهم ما بـ ين ١٠٥ إلـ ى ٢٠٠٠ مليون دولار.

فكرية: ناس ما عندهاش شرف ولا دين.. وجعتـ وا راسـ ي بكلام فاضي.. هي قلة الضمير بقت هي الدين فـ ي البلد دي ولا إيه اللي جرى؟

الأم: سبلت عيني للنوم مـ ـا نامت

فكرت في الحبان قامت

سبلت عيني للنوم ما نعست

فكرت في الحـ بان صحيت.

نبيلة: ما فيش راجل يملا عـ ين الواحـ دة اليـ ومين دول... الراجل لازم يكون مكفي بيته ومراته، مش مسـ ـافر وهاجج علشان خاطر قرشين يستر بيهم نفسه.. مـ ـا فيش حد يستر بيته وناسه وهو في البلـ د دي إلا إذا كان حرامي.. يعني في الآخر مش راجل.

طوسون: المحكمة التأديبية تفصل ٧ من كبار موظفي الدولة وتخصم ١٥ يوما. المحكمة التأديبية تقول كان يجب تطبيق قانون العقوبات لمواجهة الفساد الوظيفي [٢].

الصديق: مش مؤمن بالانتخابات ازاي؟ دول بيقولـ وا إن ده حق من حقوقنا ومش لازم نفرط فيه.

الفتى: اشمعنى ده اللي مش ها نفرط فيه؟

هدى: ما احنا كلنا في شقة شرك.. ندخل الحمام بالدور.. أنا وأمي وأبويا وأخواتي ننام في أودة واحـ دة.. ومـ ا حدش واخد باله من حد.. يعني كل واحد عايش في حاله ولحاله..تبقى دي عيشة دي؟

طوسون: اسمع المانشيت.. المانشيت بس.. أمريكـ ا تسـ قط مشروع قرار ضد الإجراءات الإسرائيلية بالقـ دس.. تعنت إسرائيل يطلق السباق النووي.. السـ لام فـ ي الشرق الأوسـ ط يحتـ اج الآن إلـ ى عمليـ ة إنقـ اذ عاجلة [٣].

---

[٢] جريدة الأخبار ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

[٣] جريدة الأخبار بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

صبحي: كل ده المانشيت.. أمال إيه الموضوع؟ اقرأه وحياة أبوك عشان تحرق دمنا اللي باقي.

الأم: الجار يا ابني ما بقاش يراعي تاني جار.. والنبي كان وصى على سابع جار.. صوت الراديو عالي، وصوت الدوشة.. والعيال في الشوارع واحنا لازم نفتح الشباك وإلا نتخنق.. وولاد الشياطين مش سايبنا في حالنا.. يطلعوا على الشباك يجرحوا حرمة الأودة.

الفتى: أنا مش المسيح.

هدى: أنت ابن كلب زي الباقي وحيوان.

الفتى: كان لازم أكلم حد في الوقت ده بالذات.. أسأله على رأيه عشان أعرف أنا لوحدي اللي باحس ولا هما كمان حاسين؟

طوسون: (يقرأ) الحبس لأستاذة جامعية ضربت والدها بالشبشب [٤].

عيشة: البنات غلب.. البنات حرام.

---

[٤] جريدة الأخبار ١٨/ ٥/ ١٩٩٥.

صبحي: مكروهة بس.

الفتى: لما باكون لوحدي بـ ابقى بـ ردان ولازم أفكـ ر فـ ي الجنس.

الأم: **(تعدد)** الفرح غالي ما هوش لكل الناس

جوا مدينة وقفوا لها نحاس

الفرح غالي في صـ . . ناديقه

وإيش جسر الفقري يمد إيده؟

هدى: (تبصق على الأرض وتصفق الباب وتخرج)

الفتى: (يمسك رأسه وينبعث صوته الداخلي)

يا سيدي أنا زنيم.

يا سيدي أنا واهن القوى متخاذل مؤنب.

يا سيدي ماذا ستفعل بي أنا عبدك المستند إلى سور الهاوية؟

يا سيدي أنا مفتت.. مضطر على الانسحاق بين شقي الرحى.

فأقمني من عثرتي وضمدني وشد من أزري

لكي أخرج من ذنوب الجسد

يا سيدي أنا أواصل الفجور.

أواصل يا سيدي الموت.

(يدوي صوت انفجار الرأس المروع تتناثر أشلاء الرأس، الجسد يطرح بعيدا. تطل الرءوس والجميع يلعب دور المحقق)

الصديق: كان بيشتكي من إيه؟

الأم: من كل حاجة.

طوسون: لازم كان بيشرب.

الأم: كان دايما عطشان.

فكرية: كان بيشرب خمرة.

الأم: حد الله.

نبيلة: يبقى كان بيشرب حشيش.

الأم: ما تظلمهوش.. سجاير بس.

عيشة: هو كان بيشتغل؟

الأم: الماهية ما كانتش بتكفي.

الصديق: فاكرة آخر حاجة قالها.

الأم: (تسقط بقعة ضوئية على الأم بينما نسمع الفتى)

صوت الفتى: الحياة بقت وسخة.. ما تستهلش تتعاش.

فكرية: كنتي بتحبيه؟

(يحدث تداخل بين الجميع لكن الجمل تبدأ واضـ حة ثم سرعان ما تتـ داخل، الـ رءوس المطلـ ـة تلقـ ـي بنظراتها البلهاء تبعث أصوات السخرية، الأم منهكة بين الجميع)

الصديق: كان بيحب الحياة؟

الأم: (صمت)

عيشة: كان بيكرهها؟

الأم: (صمت)

نبيلة: كان ها يتجوز منين؟ ده كان حتة موظـ ـف كحيـ ـان.. صح؟

الأم: (صمت)

طوسون: لو كان عندك حاجة عايزة تقوليها قوليها. قبل مـ ـا الحكومة ما تمشي.

الأم: (بعد فترة صمت تبدأ في العديد والرءوس المطلة تردد العديد بطريقة الريس تاتيف ولك ن ب بعض م ن السخرية):

اعملوا قبر المليـ . ـح مليح

شباك من غربه يجيب له ريح.

اعملوا قبر المليح زيـ . ـه

شباك من غربه لملقـ . ـى أمه.

(يسود الصمت لحظات، الجميع ينسحب ملقيا جملته الأخيرة للأم بأداء ميكانيكي، بينما الأم تحتضن جسد الفتى المسجّى، والإظلام تدريجي)

. . . .: لا حول ولا قوة إلا بالله.

. . . .: ربنا يصبرك ويصبر قلبك.

. . . .: كان عزيز على القلوب.

. . . .: وكان غالي.. وما حدش زيه.

. . . .: المرحوم شهيد.. حي عند ربه.. في جنة الرضوان.

. . . .: غيابه قطع فينا.

. . . .: البقية في حياتك.

. . . .: شدي حيلك شدي.

(إظلام)